مصطفى البارزاني مستقبلاً طاهر يحيى في شمال العراق

الذي اذكره جيداً انني عندما جئت الى لبنان أواخر الشهر العاشر من سنة 1967 للاستجمام بعد وعكة صحية المت بي وكنت يومها وزيرا للعمل. ان زارني (ناصر الحاني) سفيرنا في لبنان في فندق (كراند هوتيل) الذي انزل فيه في (شتورا). واستجبت لإلحاحه الشديد على قبول دعوته للغداء في (زحلة) وللحديث في أمور مهمة (حسب تعبيره). وكان ان بدأ حديثه بعد ان استقر بنا الجلوس في احد المطاعم ان تساءل (لماذا تقاطعون أمريكا؟) وكان العراق وبعض الدول العربية قد جمدت علاقتها او سحبت سفراءها من أمريكا لموقفها المساند لإسرائيل في حرب سنة 1967 ودور رئيسها (جونسون) المتواطئ كما هو معروف وقتئذ، فاندهشت.. وقاطعني قبل إتمام ردي بقوله.. مهما يُقال بهذا الخصوص فالمصلحة تقتضي (الاصطفاف) مع أمريكا، وإعادة العلاقة معها لمصلحة العراق، ولا مصلحة في معاداة أمريكا، ويجب ان تغيروا سياستكم.. وانه ينتهز هذه الفرصة ويتكلم مع وزير مسؤول، ويرجوني ان أنقل حديثه الى طاهر يحيى رئيس الوزراء.

الفريق طاهر يحيى

الفريق طاهر يحيى كما عرفه السياسي المخضّرم أحمد الحبوبي 2

أبلغنا الرئيس عن قيام ضبّاط الجيش بعمليات تهريب من إيران عبر كردستان

ناصر محسن المعاضيدي
بغداد

سمعت باسمه للمرة الأولى عند تعيينه مديراً للشرطة العامة بعد انقلاب 14 تموز سنة 1985، ثم اختفت اخباره في خضم الصراع الذي احتدم بعد الثورة بين فصائل القوى الوطنية، وكان أن أصابه رذاذ هذا الخصام فأحيل إلى التقاعد وتم إبعاده عن الجيش الذي تزاحمت كافة القوى الوطنية في أن يكون لكل منها أنصار ومؤيدون ومحازبون من الضباط لإحداث الانقلاب المضاد عند اللزوم... وغبت عن العراق سنة 1959، وعندما عدت أليه بعد انقلاب 8 شباط سنة 1963 كان طاهر يحيى رئيساً لأركان الجيش... ورأيته عن قرب وصافحته عندما حضر مع كوكبة من رجال السياسة والجيش حفلة خطوبة (عمار علوش) عضو مكتب التحقيق في حزب البعث مدعواً فيها ايضاً...

وعاد الوفد الى العراق وكله امل ان ينفذ الاخوة الكويتيون وعودهم، ولا أدري ما تم بشأن هذه الوعود وعما إذا نفذ بعضها ام لا.. فقد استقلت من الوزارة بعد عودتي من الكويت وبعد ان ساءت الأمور ولم يعد بالمستطاع تحمل المسؤولية عن أخطاء وخطايا ترتكب فبمرور الأيام زاد اليقين عندي وعند غيري من الزملاء من اننا غير قادرين على تنفيذ ما جئنا من اجل تنفيذه من مشاريع وكان قوى خفية تحرك الأمور وتشدنا الى الخلف وتعيق تقدمنا فهناك عقبات كثيرة وضعت امام الحكومة للحؤول دون تنفيذ مخططها التنموي او العمل الجدي من اجل المجهود الحربي وكانت احدى المشاكل الرئيسية هي القضية الكردية والحقوق المشروعة للأخوة الاكراد فهناك تيار قوي في الجيش والحكومة يدفع ناحية التشدد ويدعو الى مواصلة القتال الامر الذي يستنزف طاقات الجيش والبلد فهناك مصالح غير مشروعة وراء تجديد القتال مع الاخوة الاكراد فقد راجت تجارة التهريب من ايران ويتولاها ضباط من الجيش العراقي يهربون السجاد والسكاير وغيرها وتتردد أسماء كثيرة من الضباط متورطة في عمليات التهريب.. وقد اوليت انا والمرحوم عبد الهادي الراوي (وزير الشباب) هذا الامر أهمية كبيرة وجمعنا ادلة وبراهين ومستندات ضد ضابط كبير يخدم في الشمال.. وذهبت انا والراوي الى طاهر يحيى في مكتبه وعرضنا عليه ما عندنا من ادلة ومستمسكات وإدانة ضد الضابط الكبير الذي يتولى قيادة الجيش في كردستان العراق وتجاوب معنا طاهر يحيى وكأنه صدم من هذه المعلومات ونحن جلوس رن تليفون طاهر يحيى.. ورفع السماعة وما ان عرف المتحدث حتى صاح (اهلاً.. اهلاً.. بالبطل..) وراح يثني ويطنب على شجاعة هذا البطل المغوار ويعدد انتصاراته الباهرة في الشمال.. واذا بهذا الشخص المتحدث هو عين الشخص الذي جئت والراوي الى طاهر يحيى من اجل ان يضع حداً لتجارته الواسعة في التهريب.. وضع طاهر يحيى السماعة ثم التفت نحونا ونظر في وجهينا واذا بنا نحن الثلاثة وبوقت واحد ننطق بضحكة عفوية مدوية.. ثم قال مدارياً لموقفه المخجل.. (يا اخوان شسوي.. مو بيدي.. ارجوكم قدروا موقفي..) فقمت انا والاخ الراوي ولم نعلق فالموقف الذي رأيناه لا يحتاج الى تعليق والرجل (طاهر يحيى) اعترف انه غير قادر على اجراء التطهير المطلوب.. وازددنا قناعة بضرورة الاستقالة وعدم تحمل المسؤولية وواكب هذه التجاوزات إصرار بعض المنتفعين ومنهم ضباط في الجيش على عودة (سباق الخيل) بعد ان أوقف لما فيه من اضرار خاصة وعامة تمس صميم المجتمع العراقي وذهبت محاولاتنا سدى في مجلس الوزراء من اجل عدم إقرار قانون (الفروسية) الذي يبيح (رئيس الوزراء) (مكرهاً) في صف القانون نتيجة للضغوط التي مورست عليه.. وكان هذا القانون الذي وافق عليه مجلس الوزراء بأغلبية، القشة التي قصمت ظهر البعير فتقدم ستة من الوزراء باستقالتهم وهم: الدكتور محمد جواد العبوسي (وزير المالية) والدكتور أحمد الشماع (وزير الصحة) وعبد الهادي الراوي (وزير الشباب) والدكتور عبد الرحمن القيسي (وزير التربية) والدكتور عبد الرزاق محيي الدين (وزير الوحدة) واحمد الحبوبي (وزير الشباب والشؤون الاجتماعية) وعبثاً حاول طاهر يحيى إثنائنا عن الاستقالة وكذلك حاول عبد الرحمن عارف (رئيس الجمهورية) المغلوب على امره.

خرجت من الوزارة في شهر الواحد سنة 1968 وقد امضيت فيها قرابة الستة أشهر.. واذكر عندما قابلت طاهر يحيى لتقديم الاستقالة قلت له انني نفذت وعدي لك فلم استقل خلال أربعين يوماً، كما في المرة السابقة، بل قضيت معك ستة أشهر وهذه مدة طويلة وكان بودي ان نستمر ولكن، فسلط علي نظرة مدة طويلة.. دون ان ينطق وقد لاحظت الحزن عليه وتركته وانصرفت.

ان الانصاف يقتضي التنويه الى ان الرجل كان مجداً ومجتهداً ومخلصاً في عمله يقرأ ويستوعب ويتابع.. فهو قارئ جيد، ومستمع جيد، ومستوعب جيد، ملماً بالكبيرة والصغيرة يتابع ويلاحق ويسأل ويستفسر، وكثيراً ما يذهب بنفسه ليتفقد المشاريع على الطبيعة واذكر انه طلب مني يوماً أن نذهب سوياً لزيارة دور العجزة والمسنين التابعة لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية فذكرته ان الامر يتطلب قضاء نهار كامل لزيارة جميع المؤسسات التي تحتوي دور العجزة والمسنين لأنها كثيرة ومتباعدة فرحب بذلك وابدى استعداده، وهكذا قضينا نهاراً كمالاً وكان طاهر يحيى وبنشاط يحسده عليه الشباب يصعد وينزل ويمشي المسافات الطويلة يتفقد العنابر ويستمع لشكاوي المرضى والمسنين ويتحرى احوالهم وقد اصطحب معه كبار موظفي مجلس الوزراء راح يملي عليهم توجيهاته وإرشاداته لاستكمال النواقص وسد الثغرات ولم يأنف من الجلوس مع المرضى او مصافحتهم حتى انني اشفقت عليه من الجهد الذي بذله وهو بمثل سنه وثقل جسمه، وشعرت انه كان سعيداً في هذه الزيارة.

ومن خلال عملي الوزاري وجدت ان قانون العمل بحاجة الى تغيير فقد تجاوزه الزمن من حيث التنظيم والحقوق والواجبات والعمل والعمال ونقاباتهم فشكلت لجنة وزارية لإعداد مشروع لقانون جديد للعمل وبعد انتهاء المشروع أدرج في جدول مجلس الوزراء لمناقشته وإقراره بعد ان وزعت نسخ منه على الوزراء، وفي يوم مناقشة المشروع اكتشفت ان اغلب الوزراء لم يكلف نفسه قراءة المشروع ولم يعرف عنه شيئاً ورأيت طاهر يحيى يخرج من المحفظة رزمة من الأوراق سجل عليها ملاحظاته على المشروع وأخذ يقرأ ويناقش في أمور قانونية وفنية ليست من اختصاصه مما دفعني ان اوجه عتبي الى الزملاء الوزراء الذين لم يقروا المشروع، في حين ان طاهر يحيى ورغم مشاغله الكثيرة قد عكف على دراسة المشروع وسجل ما عنده من أفكار وملاحظات تخص هذا القانون الهام. وأذكر ايضاً واثناء مناقشة اتفاقية (إيراب) الفرنسية للحصول على امتياز التنقيب عن النفط ان الجلسة كانت برئاسة عبد الرحمن عارف (رئيس الجمهورية) وانني جئت بدراسة متكاملة عكف الحزب الذي كنت أنتمي اليه على اعدادها بخصوص بنود الاتفاقية. وان طاهر يحيى كان مستوعباً بشكل جيد للدراسة وقد تجاوب معي في كثير مما جاء بها وقد طال النقاش حولها مع وزير النفط (عبد الستار علي الحسين) فتدخل عبد الرحمن عارف ليضع حداً لنقاشاتي فقال

لقد زامن هذا السعار في العراق ان عبد الناصر لم ينسحب من المعركة ويعلن استسلامه بعد نكسة حزيران سنة 1967 فقد ظل مصراً على خوض المعركة القومية ضد الصهيونية ولما كان العراق بلداً ثرياً وفيه طاقات مادية كثيرة ويملك جيشاً قوياً فأن الواجب يقضي إخراجه من المعركة التي يدعو اليها جمال عبد الناصر ولا يتحقق إخراجه الى بإزاحة عارف عن السلطة فالرجل وان كان ضعيفاً لكنه محسوب على التيار القومي المساند الى عبد الناصر، وقد يبادر الى انجاد جمال عبد الناصر في المعركة المرتقبة ويزج بالعراق وجيشه وامكاناته في هذه المعركة وهذا غير مطلوب او مرغوب. واشتد الصراع وراح الجميع يسابق الزمن من اجل اسقاط عارف والتقت مصالح كثيرة من الأطراف العراقية والعربية والأجنبية في التخلص من الحكم العارفي والاتيان بنظام يكون تحت السيطرة. تكون اول واجباته خصومة جمال عبد الناصر. خصومة عقائدية ومن ثم اخراج العراق من المعركة القومية. حتى لو كان الانقلابيون لهم اقانيمهم الثلاثة المعروفة يرددونها بمناسبة وبدون مناسبة. ولا ادري فقد تكون المقولة المنسوبة الى المرحوم علي صالح السعدي (نائب رئيس الوزراء ووزير داخلية انقلاب 8 شباط سنة 1963) التي تقول (جئنا سنة 1963 بقطار انكليزي، وعدنا سنة 1968 بقطار امريكي) صحيحة.. والله اعلم.

وترددت أسماء اشخاص قام كل واحد بدور خطير في الاعداد لانقلاب 17 تموز 1968. فقد جاءت الاخبار عم لسنان (سليم اللوزي) صاحب مجلة الحوادث اللبنانية. ان حردان التكريتي استلم من الدكتور (ناصر الحاني) سفير العراق في بيروت مبلغ خمسة ملايين دولار قبيل الانقلاب، وكان حردان التكريتي قد قدم الى بيروت وقابل ناصر الحاني واستلم منه المبلغ المذكور.

والذي اذكره جيداً انني عندما جئت الى لبنان أواخر الشهر العاشر من سنة 1967 للاستجمام بعد وعكة صحية المت بي وكنت يومها وزيرا للعمل. ان زارني (ناصر الحاني) سفيرنا في لبنان في فندق (كراند هوتيل) الذي انزل فيه في (شتورا). واستجبت لإلحاحه الشديد على قبول دعوته للغداء في (زحلة) وللحديث في أمور مهمة (حسب تعبيره). وكان ان بدأ حديثه بعد ان استقر بنا الجلوس في احد المطاعم ان تساءل (لماذا تقاطعون أمريكا؟) وكان العراق وبعض الدول العربية قد جمدت علاقتها او سحبت سفراءها من أمريكا لموقفها المساند لإسرائيل في حرب سنة 1967 ودور رئيسها (جونسون) المتواطئ كما هو معروف وقتئذ، فاندهشت.. وقاطعني قبل إتمام ردي بقوله.. مهما يُقال بهذا الخصوص فالمصلحة تقتضي (الاصطفاف) مع أمريكا، وإعادة العلاقة معها لمصلحة العراق، ولا مصلحة في معاداة أمريكا، ويجب ان تغيروا سياستكم.. وانه ينتهز هذه الفرصة ويتكلم مع وزير مسؤول، ويرجوني ان انقل حديثه الى طاهر يحيى رئيس الوزراء.

لم اخف استغراب من حديثه الصريح، وعزوته الى عدم رضاه عن مكانه في بيروت سفيراً بعد ان كان سفير العراق في (واشنطن)، فقلت: الا تعلم انك تعارض سياسة حكومتك! فضحك وأجاب: انني اختلف مع سياسة حكومتي بل اعارضها وارجوك يا أستاذ ان تنقل حديثي هذا الى طاهر يحيى لتعديل الموقف مع أمريكا قبل (فوات الأوان).. فأجبته وقد استفزتني عبارة (فوات الأوان).. انني لا انقل رسائل منك او من غيرك.. ولكنني سأناقش هذا الموضوع الخطير مع طاهر يحيى عند عودتي دون شك.. ان كيف يعارض سفير سياسة حكومته ويعمل ضدها ويتسمر في منصبه.. فابتسم معتذراً ثم قال انه حر في آرائه ومعتقداته حتى لو كانت مخلفة لسياسة حكومته.. وسرعان ما نقل الحديث الى موضوع اخر خاص بشأن الشاعر العراقي (أحمد الصافي النجفي) وكان يعمل على إقناعه بالعودة الى العراق بعد ان فارقه منذ سنوات طويلة متنقلاً بين دمشق وبيروت.

وعند عودتي نقلت الى طاهر يحيى ما جرى من حديث مع سفيرنا مع ناصر الحاني.. وكان تعليقه (هذا يخَروت) ولم يزد عن ذلك. استقلت من الوزارة وتسارعت الاحداث وحصل انقلاب 17 تموز سنة 1968 وجاء ناصر الحاني وزيرا للخارجية في العهد الجديد. وذات مساء وعندما كنت اقرأ الفاتحة في حسينية (عبد الرسول علي) في الكرادة على روح متوفٍ لا أتذكر اسمه. دخل ناصر الحاني وقد جاء لقراءة الفاتحة ايضاً، وعندما رآني اتجه نحوي وجلس بجانبي وبعد ان قرأ الفاتحة مال الى اذني وقال (ها أستاذ اشكتلك..) فأجبته (العاقبة بالخواتيم.. دكتور) ثم قرأت الفاتحة وغادرت المكان.

وفي 30 تموز أبعد ناصر الحاني من وزارة الخارجية، ولم يمر وقت طويل حتى وجد قتيلاً في (قناة الجيش) كما قُتل حردان التكريتي في الكويت سنة 1971. ومات في ظروف غامضة (لطفي العبيدي) في أمريكا، كما اغتيل في أحد فنادق لندن (عبد الرزاق النايف) وكانت قوى خفية تلاحق كل من أدى دوراً في 17 تموز سنة 1968. أدركت بعض القوى السياسية خطورة الموقف وما يهيأ للعراق وأدرك طاهر يحيى نفسه ولكن صوته لم يعد مسموعاً من قبل عبد الرحمن عارف. وراحت قوى كثيرة قريبة من عارف تضرب على وتر ابعاد طاهر يحيى من الوزارة بحجة انه بدأ يعمل مع ضباط الجيش من أجل انقلاب عسكري يطيح بعارف.. فضلاً عن انه مهتم بالفساد.. فقد أحدثت بيانات حركة الثوريين العرب أثرها واوصلت صوتها الى رئيس الجمهورية فاقتنع هذا بتغيير طاهر يحيى، فأستدعى المرحوم محسن حسين الحبيب (سفير العراق في موسكو) وكلفه بمهمة تشكيل وزارة جديدة تخلف وزارة طاهر يحيى، فقبل الحبيب المهمة وراح يستشير من اجل تأليف الوزارة.

عبد السلام عارف يصافح مستقبليه في إحدى المحافظات ويرافقه طاهر يحيى

حكومة طاهر يحيى على عهد عبد السلام عارف

كانت الساحة العراقية في بدايات سنة 1968 تزخر بنشاطات مريبة فقد نزلت الى هذه الساحة مجاميع وجماعات وان كانت عراقية الملامح عربية اللسان ولكنها غريبة في منطقها وطروحاتها جريئة في طرح افكارها تتصدرها عناصر عسكرية ومدنية لم تألفها الساحة السياسية من قبل عناصر عسكرية تتبوأ مراكز حساسة في الدولة راحت تمارس العمل السياسي جهاراً نهاراً خلافاً لكل الأعراف دونما اعتراف للقواعد او القوانين التي تحرم على العسكري العمل في السياسة او الانخراط في الأحزاب السياسية فنرى الرائد عبد الرزاق النايف (معاون مدير الاستخبارات العسكرية) ينشئ تنظيماً سياسياً اسماه (حركة الثوريين العرب) ويجند له بعض الكتاب والصحفيين ومن لهم باع طويلة وخبرة في العمل السياسي للترويج لهذا التنظيم الجديد والتبشير بأهدافه ومراميه وراحت بيانات (حركة الثوريين العرب) تغرق العراق من أقصاه الى أقصاه تطعن في طاهر يحيى ووزرائه وتتهمه بالفساد والرشوة وتطعن بنزاهته وكانت تسميه (أبو فرهود). كان تركيز بيانات هذا التنظيم ضد طاهر يحيى شخصياً وكشف اسوائه وتجاوزاته وكان المطلوب هو تهيئة اذهان الناس الى قبول التغيير المرتقب الذي تسعى اليه وتعمل من اجله هذه المجموعة الذي يساندها ويدعمها (المقدم إبراهيم عبد الرحمن الداود) آمر الحرس الجمهوري، والغريب ان أجهزة الدولة من امن واستخبارات لم تتعرض لنشاط هذا التنظيم او تلاحق عناصره في حين انها لم تقصر بواجبها تجاه باقي التنظيمات السياسية التي تحصي عليها حتى أنفاسها، وتأكد لكل المشتغلين بالسياسة او المعنيين بها والمراقبين والعارفين بالأمور ان هذا التنظيم (حركة الثوريين العرب) مدعوم من المخابرات المركزية الامريكية (C.I.A) وان رئيسه (النايف) رجل أمريكا القوي في العراق. ولكي ينجح مخطط الإطاحة بنظام عبد الرحمن عارف وفق النهج الجديد الذي تريده وترعاه قوى خارجية لابد من إقامة حلف يجمع بين زمرة النايف وبين تنظيم سياسي مجرب وله باع طويلة وشعارات قومية ذات رنين وملتهبة فكان هذا الحليف هو حزب البعث (جناح احمد حسن البكر) فهو التنظيم المطلوب للمرحلة القادمة. ولقد زامن هذا السعار في العراق ان عبد الناصر لم ينسحب من المعركة ويعلن استسلامه بعد نكسة حزيران سنة 1967 فقد ظل مصراً على خوض المعركة القومية ضد الصهيونية ولما كان العراق بلداً ثرياً وفيه طاقات مادية كثيرة ويملك جيشاً قوياً فأن الواجب يقضي إخراجه من المعركة التي يدعو اليها جمال عبد الناصر ولا يتحقق إخراجه الى بإزاحة عارف عن السلطة فالرجل وان كان ضعيفاً لكنه محسوب على التيار القومي المساند الى عبد الناصر، وقد يبادر الى انجاد جمال عبد الناصر في المعركة المرتقبة ويزج بالعراق وجيشه وامكاناته في هذه المعركة وهذا غير مطلوب او مرغوب. واشتد الصراع وراح الجميع يسابق الزمن من اجل اسقاط عارف والتقت مصالح كثيرة من الأطراف العراقية والعربية والأجنبية في التخلص من الحكم العارفي والاتيان بنظام يكون تحت السيطرة. تكون اول واجباته خصومة جمال عبد الناصر. خصومة عقائدية ومن ثم اخراج العراق من المعركة القومية. حتى لو كان الانقلابيون لهم اقانيمهم الثلاثة المعروفة يرددونها بمناسبة وبدون مناسبة. ولا ادري فقد تكون المقولة المنسوبة الى المرحوم علي صالح السعدي (نائب رئيس الوزراء ووزير داخلية انقلاب 8 شباط سنة 1963) التي تقول (جئنا سنة 1963 بقطار انكليزي، وعدنا سنة 1968 بقطار امريكي) صحيحة.. والله اعلم.

وترددت أسماء اشخاص قام كل واحد بدور خطير في الاعداد لانقلاب 17 تموز 1968. فقد جاءت الاخبار عم لسنان (سليم اللوزي) صاحب مجلة الحوادث اللبنانية. ان حردان التكريتي استلم من الدكتور (ناصر الحاني) سفير العراق في بيروت مبلغ خمسة ملايين دولار قبيل الانقلاب، وكان حردان التكريتي قد قدم الى بيروت وقابل ناصر الحاني واستلم منه المبلغ المذكور.

والذي اذكره جيداً انني عندما جئت الى لبنان أواخر الشهر العاشر من سنة 1967 للاستجمام بعد وعكة صحية المت بي وكنت يومها وزيرا للعمل. ان زارني (ناصر الحاني) سفيرنا في لبنان في فندق (كراند هوتيل) الذي انزل فيه في (شتورا). واستجبت لإلحاحه الشديد على قبول دعوته للغداء في (زحلة) وللحديث في أمور مهمة (حسب تعبيره). وكان ان بدأ حديثه بعد ان استقر بنا الجلوس في احد المطاعم ان تساءل (لماذا تقاطعون أمريكا؟) وكان العراق وبعض الدول العربية قد جمدت علاقتها او سحبت سفراءها من أمريكا لموقفها المساند لإسرائيل في حرب سنة 1967 ودور رئيسها (جونسون) المتواطئ كما هو معروف وقتئذ، فاندهشت.. وقاطعني قبل إتمام ردي بقوله.. مهما يُقال بهذا الخصوص فالمصلحة تقتضي (الاصطفاف) مع أمريكا، وإعادة العلاقة معها لمصلحة العراق، ولا مصلحة في معاداة أمريكا، ويجب ان تغيروا سياستكم.. وانه ينتهز هذه الفرصة ويتكلم مع وزير مسؤول، ويرجوني ان انقل حديثه الى طاهر يحيى رئيس الوزراء.